مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية
مجلة علمية محكمة تصدر عن كلية التربية الأساسية /جامعة بابل

استراتيجيات الاقتباس غير المباشر- دراسة تحليلية في الخطاب الحسيني

د. احمد صاحب غالي الجشعمي
جامعة بابل/ كلية الآداب

The Strategies of Indirect Quotation- analytical study of Husseini discourse

Dr. Ahmed Sahib Gali Al- Jeshami
University of Babylon\ College of Arts

Abstract

This study aims to highlight the aesthetic values in the literature of Al Al-bait. I was pleased that the subject of my study consistent with the commandment of the father of this nation, its founder, the Messenger of Allah and the last of the prophets when he recommended his nation in the Quran as well as he commanded them in his infallible household In spite of the diversity, abundance of accuracy and evolution of the Al Al-Bayt Arts studies, but these did not meet all the elements and aesthetic values in their words (the prayers of Allah on them). Moreover, despite what the scholars have done to this precious text of interpreters and thinkers, writers and specialists in language and rhetoric, criticism and significance, on what their great - did not disclose fully the beauty of the rhetorical, did not refer explicitly to reservoir the secrets of their words, which was, and still shake the feelings of the listeners of Arabs and non-Arabs present. Therefore, there is still a coveted entices lovers of Al al-Bayt for a banquet of this precious and renewable.

Keywords: strategy, quotation, indirect, analysis, speech, Al-Hussein.

الملخص:

إنّ الأمم تفتخر بما يقدّمه مفكروها من إنجازات علمية وثقافية، وتتسامى ببطولات قادتها وثائريها ولاسيّما الذين وقفوا مدافعين عن قيم السماء، ومما تفتخر به الإنسانية عموماً والأمة الإسلامية خصوصاً هو امام الثائرين الحسين عليه السلام، الشخصية الفذة المتفردة في الإيمان والشجاعة والفداء، .لقد أعطى للإنسانية كل ما وهبه الله سبحانه له؛ لذا عُدّت نهضته مَعْلَماً بارزاً من معالم المجد والخلود والسؤدد، إذ زخرت سيرته بالدعوة والكفاح درءاً للمفاسد وطلباً للإصلاح، وقد أوصل من نشيد الخلود ختام القصيدة بالمطلع، وآثرنا في هذا البحث الموجز أن نتأمل كلمات الحسين عليه السلام في خطبته التي قالها عندما أراد الخروج من مكة. فطاف وسعى واحل من إحرامه وجعل حجه عمرة لأنه لم يتمكن من إتمام الحج، متتبعين هذا الخطبة في نهضته الرائدة في الحجاز ثم ملحمته في كربلاء، لنقف على نصوص الإمام صانع هذه الملحمة، ومدى ارتباطها غير المباشر بالنصوص القرآنية بوصفها خطاباً كونياً، ولنفضي إلى القيم البلاغية والتأثيرية التي أتاحها هذا التعالق النصي بين الخطاب الإمامي والخطاب الإلهي؛ ولأن الإمام الحسين أدخل خاصيته الفردية في خطابه؛ لذا توجهنا إلى الكشف عن هذه الخاصية.

كل ذلك سيكون مدار هذا البحث الموجز الذي نأمل منه الوقوف على فاعلية التعبير في خطاب الإمام، الذي رُصَّن باستدعاء ذهني غير مباشر للنصوص القرآنية في منظومة التناص غير المباشر وآفاق هذه التناصية، ليكون النص الجديد مكتنزاً بما لا حصر له من الدلالات التي سنراها في الخطاب الحسيني في ملحمته الخالدة.

الكلمات المفتاحية: استراتيجية، اقتباس، غير المباشر، تحليل، خطاب، الحسين.

التوطئة:

الاخذ غير المباشر من القران الكريم نمطا مميزا من انماط الفهم للمصحف الشريف الذي ظهر جليا في خطب الامام عليه السلام، اذ يعمد إلى استدعاء النصوص القرآنية واستضافتها في خطبه ذهنيا وبصورة غير مباشرة، وجعلها ممتزجة مع النص الجديد عن طريق عملية امتصاص النص القرآني وإعادة إنتاجه ضمن متطلبات الموقف الجديد، من دون استعمال الألفاظ السابقة، مع بقاء الدلالة القرآنية في إنتاج النص الجديد واضحة جلية، وذلك عن طريق استلهام مجموعة الوسائل التي صاغت النص القرآني والاعتماد عليها، فمنها ما يتعلق بفكرة النص، او بالجانب الإيقاعي منه كالوزن، أو الجانب الصوتي كالقافية والروي، وتراكيبه وجرس الفاظه، اذ لا تنال الألفاظ القرآنية مساحات مكانية في فضاء البنية السطحية للنص الجديد.

وسيكون متن البحث هو خطبة للإمام الحسين عليه السلام التي قالها عندما أراد الخروج من مكة. طاف وسعى واحل من إحرامه وجعل حجه عمرة لأنه لم يتمكن من إتمام الحج مخافة ان يقبض عليه قال: (خُط الموت على ولد ادم مخط القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى اسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخير لي مصرع انا لاقيه، كأني بأوصالي تُقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء، فيملأن مني أكراشاً جوفا وأجربة سغبا، لا محيص عن يوم خط بالقلم، رضا الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه ويوفينا أجور الصابرين، لن تشذ عن رسول الله لحمته، وهي مجموعة له في حظيرة القدس، تقر بهم عينه، وينجز بهم وعده، فمن كان باذلا فينا مهجته وموطنا على لقاء الله نفسه فليرحل معنا، فإني راحل مصبحا إن شاء الله تعالى)[1].

آليات الاخذ غير المباشرة من القران الكريم:

الاخذ، أو الاقتباس، او التناص كلها مصطلحات واحدة، وقد خصص مصطلح الاقتباس لعملية الاخذ من القران الكريم تشريفا لكتاب الله الكريم، وهذه المصطلحات بعمومها اما ان تكون اخذا مباشرا، واما ان تكون اخذا ضمنيا غير مباشر كما تقول جوليا كرستيفا.[٢]

ان طبيعة القرآن الإنتاجية بحاجة إلى آليات إجرائية تبين الكيفية التي يتم فيها اخذ الفكرة من النص القراني وبناء اللفاظ جديدة تتناغم مع النص الاصلي، وذائب في النص الاصلي. وفي هذا النوع من الاخذ نحتاج الى مجموعة اليات منها:

أولا- الية الامتصاص: وهو عمل وتحويل وتشرب[٣]، وهو ينطلق أساسا من الإقرار بأهمية هذا النص وقداسته فيتعامل وإياه بوصفه حركة وتحولاً لا ينفيان الأصل[٤]، معنىً لا لفظاً، اذ يكون النص الجديد خالياً من الألفاظ التي في النص السابق ليولد فكرة جديدة تكون غائبة عن أذهان المتلقين.

ثانيا- آلية التكثيف، فعلى وفق هذه الآلية يصبح النص وحدة تكثيفية تقوم على الإيجاز أو الاختصار وهذا ما ينسجم مع اللغة الأدبية التي تعتمد الإيحاء والتأويل والرمز في طرح دلالاتها من دون الإطناب والتفصيل، وبذلك يتحقق نوع من أنواع الإبداع الأدبي، حيث تعمل آلية التكثيف في شبكة العلاقات بين النصوص على جعل النص إشارة موجزة وسريعة تحيل إلى نصوص أخرى كالأمثال والقصص القرآنية التي تحمل عبراً أو أفكاراً تتناسب مع القصد الذي يريده منتج النص الجديد بشكل مختصر ومكثف.

التقابل في وصف الموت بين القران والامام الحسين عليه السلام:

عبر القران عن الاحساس بمرارة الموت بحاسة " الذوق" وهو اللسان فقال:﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ لبيان ان الموت يسري في جميع البدن، كما تسري المذوقات فيه كما اذا شرب سما، وللكناية عن الإحساس بمرارة خروج الروح[٥].

ولا شك في ان استعمال القرآن لكلمة الذوق لها دلالات واسعة فالذوق: يستعمل لما يقل تناوله دون ما يكثر، فان ما يكثر يقال له الأكل[٦]، ويعبر به عن المكروه النازل بإنسان، فيقال ذاقه. فقد شبه ما يدرك من أثر الضرر والألم بما يدرك من طعم المر والبشع؛ لأن الإذاقة يلحظ فيها معنى القوة في الإدراك[٧] والتحقق.

اما الإمام الحسين عليه السلام فقد استعان بحاسة البصر لوصف الموت في سبيل الله، واستعار له صورة رائعة فقد شبهه (بقلادة على جيد الفتاة) لان الإمام ايقن ان الموت ليس معناه العدم، وفي هذه الصورة كناية عن الإحساس بحلاوة الموت في سبيل الله تعالى على سبيل التقابل مع الآية الكريمة، كأنما يقول القران: الموت مر مثل السم الزعاف ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ**﴾، فيقول سيد الشهداء الموت جميل في حبك يارب مثل القلادة التي تلبسها الفتاة على جيدها وهو اسفل الرقبة وهو اجمل موضع من جسدها، وابوه علي عليه السلام قال من قبل:" والله لابن ابي طالب آنس بالموت من الرضيع بمحالب امه "[٨].

فكانت آلية الامتصاص مقاربة تنظيمية يتبناها النص الحسيني لاستلهام النص القرآني، فهي عبارة عن غياب اللفظ القرآني الصريح مع الاحتفاظ بدلالته جلية واضحة، ومما لا شك فيه ان لصدق عاطفة الإمام أثرا في انفعاله وتحمسه لما انطوت عليه نفسه من يقين ثابت وعزم لا يلين، فعاطفته ثائرة جياشة تستمد دوافعها من نفس غنية بالايمان وعقيدة ثابتة فما تكلم إلا وبه حاجة إلى الكلام وما خطب إلا ولديه باعث على الخطبة.

لقد ظهر الخوف من الموت هاجساً لدى الإنسان منذ الأزل، وتشابه الفكر البشري في أساس فلسفة الموت هذه الفكرة التي عذبت الإنسان باستمرار، فكرة انتهاء الحياة، ما هو الهدف من هذا البناء وهذا الهدم؟ فالنفور من

الموت نتيجة رغبة الإنسان في الخلود، اذ تعد ملحمة كلكامش أقدم النصوص التي وردتنا في بحث الانسان عن الخلود وذهابه الى "اوتونابشتم " بطل قصة الطوفان وهو النبي نوح عليه السلام وسؤاله عن سر خلوده إذ يقول:

وهو الحكيم العارف بكل شيء، لقد أبصر الاسرار وكشف عن الخفايا المكتومة وجاء بأنباء ما قبل الطوفان[٩].

فلا يخفى ما للموت من أثر كبير في حياة الإنسان، فهو نهاية وجوده في هذه الحياة، ولعلَّ ذلك هو السبب الذي دفع الكثير من الأدباء، والباحثين إلى الحديث عنه، وعن تأثيره في النفوس، وذلك من خلال مؤلفاتهم' ولم يقوموا بذلك فحسب، بل أوردوا القصص المختلفة التي كانت ذات دلالة على جزع الناس من الموت' ومن المؤكد أن كلّ إنسان يتوقع الموت خاتمة للحياة، إلاّ أنه يحرص جاهداً أن يظلّ حيّاً، وكلما تقدم به العمر ازداد رغبة في الحياة، لأنه حريص على الخلود، وخائف من الموت)[١٠]، كما حظي الموت بكم هائل من الأعضاء الإنسانية التي أضيفت اليه، إلا ان اليد كانت كثيرا ما تنسب إلى الموت ويبدوان السبب في تلك الكثرة، هو ان اليد هي العضو التي تمسك بها الأشياء كما نسبت اليه أعضاء أخرى، مثل العين والجفن والناب، كما انه يمتلك صفة الجد في الطلب، فهو حين يريد القضاء على إنسان معين فانه يسعى بجد من اجل تحقيق غايته تلك لذا نراه لا ينام عمن يريد إنهاء حياته كما ان للموت وجها يتسم بصفة التعبيس ويصورون وجهه المتجهم في الوقت الذي يريد فيه قبض الأرواح [١١].

لا نكاد نلمح شاعراً واحداً يتمدح الموت في تشخيصه له، ويبدو أنّ ذلك أمرا اعتيادي، لا غرابة فيه، إذ كيف يُعطى هادم اللذات صفات حسنة؟ ولا سيما من لدن الشعراء، الذين يعرفون بالإحساس الشديد إزاء الأشياء جميعاً، فكيف بإحساسهم مع الموت؟)[١٢] فهذا ابو ذؤيب الهذلي لجأ الى المخيلة ليصف الموت بالوحش ينقض على الانسان اذا حان اجله:

واذا المنية انشبت اظفارها الفيت كل تميمة لا تنفع[١٣].

قراءة سيميائية لمخط القلادة على جيد الفتاة:

تحول الموت من معنى الفناء المادي الى الخلود عبر علامة بصرية وهي القلادة قال الامام عليه السلام "**مخط القلادة على جيد الفتاة**" ففيها دلالة سيميائية للموضع الذي اختاره عليه السلام من الجسد وهو موضع القلادة الذي حُزَ منه رأسه الشريف، هذا اذا علمنا ان ذبح الشاة لا يتم بصورة متعامدة مع العنق بل بصورة مائلة، فيكون تقريبا في موضع القلادة.

ففي كلام الإمام عليه السلام استشراف للمستقبل القريب وكأنما يقول: لست فقط اعلم المكان الذي اقتل فيه فقد ورد عنه انه عندما وصل الحسين عليه السلام إلى كربلاء قال: " قفوا ولا ترحلوا، فهاهنا والله! مناخ ركابنا، وهاهنا والله! سفك دمائنا، وهاهنا والله! هتك حريمنا ..."[١٤]، بل اعلم الساعة التي اقتل بها فقد ورد عن الحسين عليه السلام انه قال لأخته زينب عليها السلام: "هذا اليوم الذي وعدني به جدي، وهو الي مشتاق"[١٥]، وكذلك اعلم الكلب الابقع الذي

يقتلني، فعن محمد بن عمرو بن الحسن قال:" كنا مع الحسين عليه السلام بنهر كربلاء، ونظر إلى الشمر، وكان ابرص فقال: الله اكبر، صدق الله ورسوله، قال رسول الله:"كأني انظر إلى كلب ابقع يلغ في دم اهل بيتي"(١٦)، واعلم انه سوف يحز رأسي من هذا الموضع.

وهناك قراءة سيميائية ثانية للنص الحسيني: فالإمام يصور الموت طوقا لا يخرج ابن ادم من وسطه، ولا مناص للفرار منه، كما أن القلادة المعلقة على جيد الفتاة تحيط الرقبة لا تنفك عنها، ولا سبيل للجيد لأن يخرج منها، هذا اذا قيل: إن "مخط" اسم مصدر بمعنى "خط"(١٧)، وعليه فان مخط القلادة على جيد الفتاة أمر تقريبي وتعبير أدبي، والا فهو ليس بأمر دائم؛ لان كثيراً من النساء لا يلبسن القلائد لفقر أو لغيره، مع ان الموت عام للجميع(١٨)، إلا ان يراد موضع القلادة، يعني اسفل الرقبة(١٩)، يكون ملازما مع خلقة الإنسان كملازمة الموت له، فيصبح مخط اسم مكان أي مكان القلادة على رقبة الفتاة وموضع صدرها وهو اجمل ما في الفتاة، التي امر الله المؤمنات ان يضربن بخمارهن عليه.

بين الحسين ويعقوب عليهما السلام:

قال عليه السلام "**وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف**" هذا المقطع يجعل قصة يوسف حاضرة في النص الحسيني، وكأنما قصة يعقوب عليه السلام واشتياقه إلى ابنه يوسف عالقة في ذهن الامام عليه السلام عندما ذكر ولهه إلى آبائه محمد صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام.

وهناك نقطة تشابه بين الموقف الامام والنبي عليهما السلام، فكما اخبر يعقوب أبناءه عندما سألوه ان يرسل معهم يوسف عليه السلام قال: **﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾**(٢٠)، كأنما يشير لهم بعلمه من الغيب، انكم ستلقونه في غيابات الجب ثم تأتون لي وتقولون اكله الذئب، لكنه سلم تسليما تاما لأمر الله تعالى، لان هناك منزلة رفيعة لا ينالها هو وابنه الا بافتراق بعضهما عن بعض، فصبر على تحمل الفرق وقال "**صبرا جميلا والله المستعان**".

اما تسليم الامام تجاه قضاء الله عز وجل، "فعن عمر بن علي بن أبي طالب عليه السلام: لما امتنع أخي الحسين عن بيعة يزيد دخلت عليه فوجدته خاليا، فقلت له: جعلت فداك يا أبا عبد الله! حدثني أخوك أبو محمد الحسن عن أبيه ثم سبقتني الدمعة وعلا شهيقي، فضمني إليه وقال: حدثك أني مقتول! فقلت: حوشيت يا ابن رسول الله! فقال: سألتك بحق أبيك! بقتلي خبرك؟

فقلت: نعم، فلولا ناولت وبايعت!

فقال: حدثني أبي عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله أخبره بقتله وقتلي، وأن تربتي تكون بقرب تربته أفتظن أنك علمت مالم اعلمه!؟ وإنه لا أعطي الدنية من نفسي أبدا ولتلقين فاطمة أباها شاكية ما لقيت ذريتها من أمته، ولا يدخل الجنة أحد أذاها في ذريتها"(٢١).

كان (للذئب) دوراً في الحيز المكاني في كلا الخطابين القرآني والحسيني حيث لعب دور المتهم البريء الذي ينفذ الجريمة.قال يعقوب عليه السلام: **﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾**(٢٢)، وهذا الحسين يقول "**اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخير لي مصرع انا لاقيه، كأني بأوصالي تُقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء، فيملأن مني أكراشاً جوفا وأجربة سغبا**"، والاعسل هو: الذئب، وكان يعلم ان الوحوش لا تأكل وهوام الارض لا تأكل اجساد الانبياء والشهداء.

قال يعقوب عليه السلام (صبرا جميلا والله المستعان)، وقال الامام عليه السلام **(نصبر على بلائه فيوفينا اجور الصابرين)**، فالنبي علم الغيب وصبر والامام علم الغيب وصبر، بل صبرا ثم علما الغيب(٢٣)، قال تعالى:﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾(٢٤).

ولكن للإنصاف اين تضحية الحسين عليه السلام الذي ضحى بنفسه وأولاده، حتى الرضيع منهم، واخوانه، وابناء اخوانه واخته، واصحابه وسبيت نساؤه، من تضحية يعقوب عليه السلام الذي جزع بكاء على فراق يوسف حتى ابيضت عيناه من الحزن مع علمه ان ولده سيعود اليه

قصة القارورة يومها خط بالقلم:

قال الامام عليه السلام "**لا محيص عن يوم خط بالقلم**"، المحيص هو: "اسم مكان بمعنى مكان الحيص، والحيص يعطي معنى الحركة، يقال حاص عنه يحيص حيصا، وحُيوصا، ومحيصا، وحَيَصانا، أي عَدَل، وحاد"(٢٥)، فهو عليه السلام يقتبس كلامه من قول الله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ، لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾(٢٦)، وفيه إشارة إلى قصة القارورة التي يأتي بها جبرائيل عليه السلام ليعلن حزن ال الرسول والتي أعطاها إلى ام سلمة قائلا لها: "يا أم سلمة، خذي هذه القارورة فإن فيها تراب كربلاء، فإن تحول التراب دما عبيطا فأعلمي أن ولدي الحسين قد قتل"(٢٧)، وهي إشارة لفك افق الاستقراء المؤجل، كون ام سلمة ستكون حاضرة في الحديث وشاهدة عليه اذ يمتد بها العمر طويلا حتى استشهاد الإمام عليه السلام، قارورة تراب تتحول إلى دم عبيط، ام سلمة تقفل تترقب الحدث خمسين سنة هي السنون التي تلت الأخبار عن رسول الله ﷺ حتى وقوع الملحمة وهي تتفقد القارورة كل يوم، وحضور ام سلمة شاهدة لرؤيةٍ ستتفاعل مادتها في عنصر التراب المتحول مع الأيام دما عبيطا، وحتى يتحقق التحول الزماني في المكان الصغير – القارورة – فإن الشهادة سيكون لها دور في القادم من الزمن ان تعلن استشهاد الإمام الحسين عليه السلام بعد طول خوف وبكاء وانتظار اذا تحقق ذلك الخبر من خلال القارورة التي رأتها الشاهدة لتعلن عن المقتل(٢٨)، إذ تسأل من اين علمت ذلك؟ قالت: "رأيت رسول الله ﷺ في المنام الساعة شعثا مذعورا فسألته عن شأنه فقال: قتل ابني الحسين عليه السلام واهل بيته"(٢٩)، نحن أمام قضية نادرة هي ان بطلا ينتصر حركيا في حياته وبعدها اذ تحقق ذلك الخبر من خلال القارورة التي رأتها الشاهدة لتعلن عن المقتل الذي شكل

هاجسا من الخلود، ويشكل هاجسا من الهزيمة في قلوب أعدائه، تتشكل عبر الدم قداسة التراب الذي كان مقدسا منذ أخبار الرسول ﷺ في قصة القارورة وهناك مدلول اخر عندما يتحول التراب الممتزج دما إلى تبرٍ وصولا إلى ذروة القبة السامقة التي تتوضأ بالذهب، وللدم علامة وعلامته أن من صفات هذا الخليط اذا ما صعد إلى السماء فإن قطرته يستعصي عليها النزول، وهذا سر الرفض[٣٠].

سورة الفجر سورة الحسين عليه السلام:

قال الامام الحسين عليه السلام: "**رضا الله رضانا اهل البيت** " ان كلام الإمام يتماهى مع خاتمة سورة الفجر المباركة ﴿يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية﴾، وقد ورد عن الامام الباقر اقرءوا سورة الفجر في فرائضكم فانها سورة الحسين عليه السلام[٣١]، فقال له أبو أسامة وكان حاضرا المجلس: كيف صارت هذه السورة للحسين (ع) خاصة؟ فقال: ألا تسمع إلى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفسُ ٱلمُطمَئِنَّةُ، ٱرجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَة مَّرضِيَّة﴾ إنما يعني الحسين بن علي فهو ذو النفس المطمئنة الراضية المرضية وأصحابه من آل محمد[٣٢].

وبلحاظ انها ابتدأت ب ﴿ليال عشر ﴾ المقسوم بها في مقدمة السورة حيث من ضمن تفاسيرها انها ليالي محرم العشرة[٣٣]، فسورة الفجر امتدت مقدمتها الى الآيات الخمس الأول من السورة الكريمة لان الآية ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد﴾ استفهام انكاري، نجد ان الراء هي حرف الفاصلة في مقدمة آيات الفجر ويسبق الراء حرف متحرك لا حرف مد، وان تحول الروي من الراء الى الدال مع وجود المد قبل الروي في الآية السادسة غير نبرة الصوت على خلاف الآيات التي سبقتها مما يوحي أن الاستهلال انتهى في الآية الخامسة وبدأنا بمقطع جديد.

من الواضح ان القسم بأوقات وازمان معينة لم يعرفها العرب سابقا لذلك قال ابن الاثير: "إذا قرع السمع شيء غريب ليس له بمثله عادة فيكون ذلك سببا للتطلع نحوه والاصغاء اليه"[٣٤]، من هنا تأتي أهمية الابتداء بقسم يخص اوقات معينة في القرآن الكريم ضرباً من الابتداءات المميزة بسبب الندرة من جهة وبسبب الانفعال من جهة أخرى الذي كان مدعاة للتعامل مع الدلالة على نحو من الاثارة والتهويل. وهذا يعني انطواءها على اهمية خاصة مثل العشرة الاوائل من محرم الحرام، فإن الهدف الفني من القسم هو لفت النظر الى هذه الازمنة وما يجري فيها... يدلنا على ذلك، ان النص القرآني الكريم نفسه اشار الى هذا الهدف الفني حينما عقب القسم بالأوقات المذكورة بقوله: ﴿هل في ذلك قسم لذي حجر﴾ أي لذي عقل يعتبر بذلك.

وإذا تجاوزنا هذا التمهيد للسورة، نتجه الى اوائل موضوعاتها وهو: سرد بعض قصص المجتمعات البائدة التي عصف بها الجزاء الدنيوي نتيجة لطغيانها وتجبرها وفسادها ﴿فأكثروا فيها الفساد﴾، والهدف الفني من هذا العرض القصصي واضح، اذ يستهدف النص تذكير المتلقي بمصائر المنحرفين عن مبادئ السماء وذلك من خلال الترهيب.

اذن من حيث بناء هندسة السورة، يبدأ النص بعملية تهيئة وعي المتلقي عن طريق القسم بأوقات خاصة عند الله تعالى، ثم بعملية تذكير بمصائر الطغاة الماضين بغية تصعيد الوعي العبادي المذكور: مع ملاحظة ان عملية التذكير تعتمد انتخاب مفردات معينة من قصص الماضين تتجانس مع الهدف الفكري الذي يشد عليه النص.

ويمكننا معرفة ذلك، اذا بدأنا الان بالوقوف على العرض القصصي المذكور: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَادِ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ وَفِرْعَوْنَ ذِي ٱلْأَوْتَادِ ٱلَّذِينَ طَغَوْاْ فِي ٱلْبِلَادِ فَأَكْثَرُواْ فِيهَا ٱلْفَسَادَ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾.

لقد عرض النص لنا ثلاث اقاصيص هي: مجتمعات وافراد عاد، وثمود، وفرعون... ويلاحظ انها قد انتخبت بنحو فني كما انتقيت احداثها بالنحو نفسه فالاقصوصة الاولى تتحدث عن ارم ذات العماد وهي مدينة ضخمة تشبه الجنة عنادا وتمردا على الله وفيها اشارة الى الجانب الصناعي المتطور، والاقصوصة الثانية فهي اقصوصة ثمود الذين كانوا ينحتون بيوتهم في الجبال امعانا في الترف او احكاما لابنيتهم وفيه اشارة الى الجانب الاقتصادي، اما الاقصوصة الثالثة فتحدثت عن فرعون ذي الاوتاد.. وسواء اكان المقصود بهذه السمة كون فرعون ذا جنود يحرسون سلطانه، او ما كان يمارسه من عمليات التعذيب الجسدي حيث كان يشد الشخص بأوتاد اربعة ويتركه حتى يموت وفيه اشارة الى الجانب العسكري الذي كان يمارسه فرعون [٣٥].

اما الخاتمة فشغلت الايات الاربع الاخيرة قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ، ٱرْجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ إنما عنى بها الحسين بن علي عليه السلام فهو ذو النفس المطمئنة الراضية المرضية وأصحابه من آل محمد[٣٦]، كما قال مولانا الامام ابي عبد الله الصادق عليه السلام.

فالتناسب بين فاتحة السورة وخاتمتها ووسطها واضح فبداية السورة اسم عز وجل بالليلي العشر التي فسرت انها العشرة الاولى من شهر محرم الحرام، وجاءت الخاتمة لتحمل البشرى لهؤلاء الذين صبروا على الفتن وواجهوا المحن بالصبر والثبات وكانت نفوسهم مطمئنة لقضاء الله تعالى، تبشرهم بتوفيق الله لهم بالرجوع الى ربها راضية مرضة والدخول في الجنة، اما وسط السورة فقد تحدث عن الطغيان والاستكبار فتعانقت خاتمة السورة مع فاتحتها وهذا إبداعٌ أيَّما إبداع وهو من معاجز هذا الكتاب الذي لاريب فيه.

وهناك نصوص كثيرة اكدت مقتله في كربلاء فكان من الحسين عليه السلام ان يسلم لقضائه وقدره ولإتمام الخطة الإلهية التي رسمت منذ الأزل بإرادة وطواعية فالذي يرضي الله يرضينا اهل البيت. قال الحسين عليه السلام لأصحابه قبل ان يقتل: "إن رسول الله قال لي: يا بني! إنك ستساق إلى العراق، وهي ارض قد التقى بها النبيون وأوصياء النبيين، وهي ارض تدعى عمورا، وأنك تستشهد بها، ويستشهد معك جماعة من أصحابك لا يجدون الم مس

الحديد"[٣٧]، "ولقد مر أبي بهذا المكان عند مسيره إلى صفين وأنا معه فوقف فسأل عنه، فأخبر باسمه، فقال: هاهنا محط ركابهم، وهاهنا مهراق دمائهم، فسئل عن ذلك: فقال ثقل لآل بيت محمد ينزلون هاهنا"[٣٨].

النتائج:

١- شكل الاقتباس غير المباشر من القران الكريم سمة بارزة في الخطاب الحسيني فهو استعاء لايات وقصص قرانية للتعبير حالات الشوق الى لقاء الله التي كان يمر بها الامام اثناء مسيره الى كربلاء

٢- كان يستعمال الأدوات القرآنية من دون استخدام الفاظه، بل قل هي محاكاة للقرآن في أسلوبه ومنطقه وأفكاره.

٣- الاقتباس المباشر كان اقل حضورا في النص الحسيني ولم يكن فجا بل كان يقتطع كلمة من آية فيرصع بها كلماته الشريفة فتكون كالجوهرة في أسورة الذهب

٤- حمل النص الحسيني سمة الاتكاء والاخذ غير المباشرة على القران الكريم مستفيدا من الخواص التي ينماز بها هذا النص المعجز؛ والذي تذوب فيه النصوص الدينية جميعا.

الخلاصة:

الاقتباس غير المباشرة لأدب الامام الحسين عليه السلام من اعلى ما عرفه التراث الإنساني مضمونا – بعد القران الكريم وكلام الرسول صلى الله عليه وآله، والإمام علي عليه السلام – وأجمله أسلوبا وأبعده في النفس أثرا، وبعد وقفتنا العجلى على خطاب الامام صانع ملحمة الطف الخالدة، لمسنا ومدى التعالق النصي بين الخطاب الإمامي والخطاب الإلهي؛ ولأن الإمام الحسين أدخل خاصيته الفردية في خطابه؛ لذا توجهنا إلى الكشف عن هذه الخاصية، كل ذلك كان مدار بحثنا الموجز الذي ابرز فاعلية التعبير في خطاب الإمام، والذي رُصَّن بالاستدعاء الذهني غير مباشر للنصوص القرآنية في منظومة التناص غير المباشر وآفاق هذه التناصية، فكان هذا النص الجديد مكتنزاً بما لا حصر له من الدلالات التي رايناها في الخطاب الحسيني في ملحمته الخالدة.

الهوامش

(١) موسوعة كلمات الإمام الحسين: ٣٩٧، معهد تحقيقات باقر العلوم عليه السلام، منظمة الإعلام الإسلامي، دار الأسوة، طهران، ١٤٢٥هـ.

(٢) ينظر: ٣٥ ،علم النص، جوليا كريستيفا، ترجمة: فريد الزاهي، دار توبقال، ١٩٩٢.

(٣) مفهوم التناص بين الأصل والامتداد: ٣٩، بشير القمري، مجلة الفكر العربي المعاصر، بيروت – باريس، العددان ٦٠-٦١، ١٩٨٩م.

(٤) ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب: ٢٥٣، محمد بنيس، دار التنوير، الدار البيضاء، ط٢، ١٩٨٥م.

(٥) مواهب الرحمن: ٧/ ١٥٦، سماحة السيد آية الله العظمى عبد الأعلى الموسوي السبزواري، مطبعة الديواني، بغداد، ط٢، ١٩٩٠م.

(٦) المصدر نفسه: ٢٤١/١.

(٧) ينظر. فنون التصوير البياني: ٢٧٩، توفيق الفيل، منشورات ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨٧م.

(٨) مواهب الرحمن: ٣٣٢

(٩) ملحمة كلكامش اودسة العراق الخالدة، ترجمة: طه باقر، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، (د.ت).: ٣٥.

(١٠) التشخيص في الشعر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري: ٢٣٠، ثائر سمير حسن الشمري، دار صفاء، عمان، ٢٠١٢م.

(١١) المصدر نفسه: ٢٣١ – ٢٣٤.

(١٢) المصدر نفسه: ٢٥٥.

(١٣) ديوان ابي ذؤيب الهذلي:٦٥ دار صادر، تحقيق: انطونيوس بطرس، بيروت، ٢٠٠٣

(١٤) موسوعة كلمات الحسين عليه السلام: ٤٥٥

(١٥) موسوعة الامام الحسين عليه السلام: ٦١٤

(١٦) موسوعة كلمات الحسين ٦١٩

(١٧) ينظر: نثر الإمام الحسين: ١٨، ميثم قيس مطلك، كلية التربية، جامعة القادسية، ٢٠٠٦م, رسالة ماجستير.

(١٨) ينظر: منبر الصدر: ٥٩، يحتوي على خطب الجمعة التي كان يلقيها الإمام الشهيد السيد محمد صادق الصدر في مسجد الكوفة، تقرير وتنسيق وتحقيق: السيد محسن الموسوي، مؤسسة السيدة المعصومة، قم، ١٤٢٥هـ.

(١٩) ينظر: نثر الإمام الحسين: ١٩.

(٢٠) يوسف: ١٣.

(٢١) مقتل الحسين عليه السلام: ١٣٤، العلامة الحجة المحقق: السيد عبد الرزاق الموسوي المقرم، منشورات الشريف الرضي، تقديم محمد حسين المقرم، (د. ت).

(٢٢) يوسف: ١٣

(٢٣) ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾، السجدة: ٢٤.

(٢٤) البقرة: ٢٨٢.

(٢٥) منبر الجمعة: ٩١.

(٢٦) الحديد: ٢٢ – ٢٣.

(٢٧) بحار الانوار:٤٥/ ١٦٠. الشيخ محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت، (د.ت).

(٢٨) ينظر: الدلالة الكونية في ملحمة الطف الخالدة (افق النسق السيميائي لبطولة الامام الحسين): ٧١.

(٢٩) بحار الانوار:٤٥ / ١٦٠.

(٣٠) ينظر: الدلالة الكونية في ملحمة الطف الخالدة: ٧٣. . ناصر شاكر الأسدي، مجلة جامعة كربلاء العلمية، العدد الثالث، ٢٠٠٨.

(٣١) بحار الأنوار: ٤٤/ ٢١٩.

(٣٢) تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة: ٢/ ٧٥، السيد شرف الدين الاسترابادي النجفي، تحقيق: مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدسة، ١٤٠٧ هـ.

(٣٣) الامثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٢٠/ ١٧٤، ناصر مكارم الشيرازي، مدرسة الامام علي عليه السلام، قم المقدسة، ١٤٢٥هـ.

(٣٤) المثل السائر في ادب الكتاب والشاعر، ضياء الدين محمد بن نصر الله بن محمد، تحقيق: احمد الحوفي وبدوي طبانة، دار الرفاعي، الرياض، ١٩٨٢: ٣/ ٩٨.

(٣٥) ينظر: التفسير البنائي للقران الكريم: ٥/ ٣٣٦، محمود البستاني محمود البستاني، مجمع البحوث الاسلامية، مشهد، ايران، ١٤٢٥هـ.

(٣٦) تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة: ٢/ ٧٥، السيد شرف الدين الاسترابادي النجفي، تحقيق: مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدسة، ١٤٠٧هـ.

(٣٧) المصدر نفسه: ٥١٩.

(٣٨) موسوعة كلمات الامام الحسين عليه السلام: ٤٥.

المصادر

- الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، مدرسة الامام علي عليه السلام، قم المقدسة، ١٤٢٥هـ.
- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، الشيخ محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت، (د.ت).
- تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة، السيد شرف الدين الاسترابادي النجفي، تحقيق: مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدسة، ١٤٠٧هـ.
- التشخيص في الشعر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، ثائر سمير حسن الشمري، دار صفاء، عمان، ٢٠١٢م.
- التفسير البنائي للقران الكريم محمود البستاني، مجمع البحوث الاسلامية، مشهد، ١٤٢٥هـ.
- الدلالة الكونية في ملحمة الطف الخالدة، افق النسق السيميائي لبطولة الإمام الحسين، ناصر شاكر الأسدي، مجلة جامعة كربلاء العلمية، العدد الثالث ٢٠٠٨م.
- ديوان ابي ذؤيب الهذلي دار صادر، تحقيق: انطونيوس بطرس، بيروت، ٢٠٠٣.
- ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب مقاربة بنيوية تكوينية، محمد بنيس، دار التنوير، الدار البيضاء، ط٢، ١٩٨٥م.
- علم النص، جوليا كريستيفا، ترجمة: فريد الزاهي، دار توبقال، ١٩٩٢م.
- فنون التصوير البياني، توفيق الفيل، منشورات ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨٧م.
- كشف الغمة، علي بن عيسى الاربلي (ت٦٩٣ هـ)، مطبعة مكتبة بني هاشم، تبريز، ١٣٨١هـ.
- المثل السائر في ادب الكتاب والشاعر، ضياء الدين محمد بن نصر الله بن محمد، تحقيق: احمد الحوفي وبدوي طبانة، دار الرفاعي، الرياض، ١٩٨٢م.

❖ مفهوم التناص بين الأصل والامتداد، حلة الرواية (مدخل نظري)، بشير القمري، مجلة الفكر العربي المعاصر، بيروت – باريس، العددان ٦٠-٦١، ١٩٨٩م.

❖ مقتل الحسين أو حديث كربلاء، العلامة الحجة المحقق: السيد عبد الرزاق الموسوي المقرم، منشورات الشريف الرضي، تقديم محمد حسين المقرم، (د. ت).

❖ ملحمة كلكامش اودسة العراق الخالدة، ترجمة: طه باقر، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، (د.ت).

❖ منبر الصدر، يحتوي على خطب الجمعة التي كان يلقيها الإمام الشهيد السيد محمد صادق الصدر في مسجد الكوفة، تقرير وتنسيق وتحقيق: السيد محسن الموسوي، مؤسسة السيدة المعصومة، قم، ١٤٢٥هـ.

❖ مواهب الرحمن في تفسير القرآن، سماحة السيد آية الله العظمى عبد الأعلى الموسوي السبزواري، مطبعة الديواني، بغداد، ط٢، ١٩٩٠م.

❖ موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، معهد تحقيقات باقر العلوم عليه السلام، منظمة الإعلام الإسلامي، دار الأسوة، طهران، ١٤٢٥هـ.

❖ نثر الإمام الحسين عليه السلام، ميثم قيس مطلك، كلية التربية، جامعة القادسية، ٢٠٠٦م، رسالة ماجستير.